

غير الكلمة يتغير الموقف لصالحك



القاعدة الكلية لمجموع سلبيات فن التعامل الإجتماعي، هو أنّ تغيير الكلمة أحياناً يُغيّر الموقف.. يُخفّف من احتقانه.. يُلطّفه.. إنّ كلمة: (لا أفرض عليك رأيي ولكنني أرى ذلك)، أرفق بكثير من كلمات فيها رائحة الفرض أو الإملاء. وعتاب رقيق من قبيل: كنتَ أتمنّى لو كنتَ أكثر تفهّماً، قد يساعد على اندمال جرح بعكس كلمة من قبيل: أنتَ دائماً تُسيء الظنّ بي. واعتراف من قبيل: هذا هو حدّ تصوّري، هذا هو مقدار معرفتي، أبرد على خاطر من كلمة: أنا أفهم منك.. وهكذا. وحتى تكتمل الصورة سنضع بين يديك عدداً من المنفّسات عسى أن نحصر على تحاشيها كجزء من إجادتنا لفنّ التعامل: 1- في كتاب الكريم أكثر من لفته قرآنية لما اصطلحنا عليه بالمنفّسات، ومنها: أ- السخرية: وهي الإستهزاء بالآخرين ظناً منذاً أنّنا أفضل منهم، ناسين قد يفوقونا في أشياء كثيرة، وأنّ ما قد نسخر منه قد يكون ابتلاءً لا دخل للمصاب فيه؛ كالأعرج أو الأعور أو الأصمّ أو الأعمى. يقول تعالى: (لَا يَسْخَرُونَ مِنْكُمْ مِنْ دِينِكُمْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْكُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ) (الحجرات/ 11). ب- اللّمز: وهو الوخز والظعن بالعيب، وهو من أسرة المنفّسات المزعجات، وهو أن تطّلع على عيب في أخيك فتعيّره به، أو تهزأ به أمام الآخرين ممّا يسبّب له جرحاً عميقاً، في حين أنّ الإسلام يحبّ الستر ويدعونا إلى أن نستتر ما نراه من عيوب الآخرين. يقول تعالى: (وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ) (الحجرات/ 11). ج- التنابز: وهو التنادي بما يسيء لإخواننا

ويكرهونه، فالألقاب الساخرة والأسماء اللاذعة، وأدوات التخاطب المخدشة تعبيراً عن هبوط في الشخصية، ولقد مرّ معنا أنّ الإسلام يُطالبنا بأن ننادي إخواننا بأحبّ الأسماء إليهم.

يقول تعالى: (وَلَا تَذَابِرُوا بِلِأَلْقَابِ) (الحجرات/ 11). د- سوء الظنّ: وهو أن تُفسّر كلّ حركةٍ وسكنةٍ من أحيكّ تفسيراً سيئاً، وهو كذلك كاشف عن نفس تنطوي على خبث وسوداويّة فلا ترى من أفعال الناس وأقوالهم إلا المشين. يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ) (الحجرات/ 12). وقد ورد عن النبي (ص) قوله: "إيّاكم والظنّ، فإنّ الظنّ أكذب الحديث".

هـ- التجسّس: فكما عدم الثبّقة يقودك إلى سوء الظنّ وهو عمل باطني، فكذلك يقودك إلى عملٍ ظاهري وهو التجسّس والتقاط العثرات وتتبّيع الأخطاء وترصد الهفوات، فالتجسّس هو تتبّع عورات وعثرات المؤمن. يقول تعالى: (وَلَا تَجَسَّسُوا) (الحجرات/ 12). و- الغيبة: وهي ذكرك أخاك بما يكره، فإن كان فيه ما تقول فقد اغتبتّه، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتته. وهي جهد العاجز الجبان الذي لا يقوى على مواجهة الآخرين بالصراحة فينال منهم في غيابهم، فهو كمنّ يطعن في الظهر. وأخطر ما فيها أنّها توسّع من دائرة المطّلعين على العيب ممّا يسبّب هتك حرمة المؤمن، ولنتأمل في هذه الصورة المقرّرة والنايبة عن كلّ ذوق، يقول تعالى: (وَلَا يَغْتَابِ بَعْضُكُمُ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَنْقُلَ مَا يَسْمَعُ أَحَدًا مِّنْ شَخْصٍ إِلَى آخَرَ لِيُوقِعَ بَيْنَهُمَا، وَهَذَا مِنْ سُوءِ الطَّبَعِ وَالسَّرِيرَةِ، فبدلاً من أن نعمل على إصلاح ذات البين ونقل الصور الطيّبة عن كلّ صديق، نعمل إلى تشويه صورته في نظر الآخر، ولذلك قال تعالى: (وَلَا تُطِيعُوا كُفْرًا كُفْرًا مَّهِينًا * هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَدْمٍ) (القلم/ 10-11). وجاء في الحديث: "مَنْ نَمَّ لَكَ نَمٌّ عَلَيْكَ". وقال رسول الله (ص): "ألا أنبئكم بشراكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: المشاؤون بالنميمة، المفرّقون بين الأحبّة". ح- هتك الحرمة: إنّ كلّ ما سبق من منفّرات تُشكّل هتكاً لحرمة المؤمن التي توصّف - حسب الروايات - بأنّها أعظم من حرمة الكعبة، ولكن يُضاف إليها كلّ ما من شأنه أن يسيء أو يشوّه سمعة المؤمن بحيث يُسقطه اجتماعياً. يقول تعالى: (إِنَّ السَّذِينَ يُحْدِثُونَ أَنْ تَشِيَعِ الْفَاحِشَةُ فِي السَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) (النور/ 19). وفي الحديث: "لا تُذهب بالحشمة بينك وبين أخيك. أبق منها فإنّ ذهابها ذهاب الحياء". وفي المحمّلة يحرم إيذاء المؤمن وتحزينه وإهانته وخذلانه واحتقاره وإسقاطه. يقول الرسول الكريم (ص): "مَنْ آذَى مُؤمناً فقد آذاني، ومَنْ آذاني فقد آذَى الله". ط- الشحناء والمُعادة: ومن المعاول التي تهدم الأخوة وتخرّب بيت الصداقة: (الشحناء) وهي

البغضاء، و(المعاداة) وهي اعتبار أخيك عدوًّا لك، و(الملاحاة) وهي أشدَّ الخصومة، حتى أن رسول الله ﷺ قال: "مَنْ لاحى الرجال، سقطت مروءته وذهبت كرامته". و(المشارَّة) وهي التسيُّب في الشرِّ للآخر، و(المشاجرة) والشجار أوَّل الخصومة ونوع من أنواعها، و(القييل والقال) وهو من النميمة والغيبة والتسقيط، و(التباغض) الذي يقطع جسور الوصل، حتى جاء في الحديث: "إنَّ في التباغض الحالقة - ولا أعني حالقة الشعر - ولكن حالقة الدِّين"، (المراء) وهو الأسلوب الملتوي في التعامل، ويقول علي (ع): "مَنْ بالغ في الخصومة أثم، ومَنْ قصرَ فيها ظلم، ولا يستطيع أن يتَّقِيَ الله مَنْ خصم". ي- إحصاء العثرات؛ وهي عمليَّة تنمُّ عن خبث واستعداد نفسي للإطاحة بالآخر من خلال إحصاء عثراته وزلاته، وهي أشبه بما تقوم به قوى المخابرات من الاستدراج للإيقاع بالضحية. يقول جعفر الصادق (ع): "مَنْ أحصى على أخيه المؤمن عيباً ليشينه به ويهدم مروءته، فقد تبوَّأ مقعده من النار". وقد وصفته أحاديث أخرى بأنَّه من الغدر. ك- الهَجْر: قد تصل العلاقة بيني وبين أخي وصديقي إلى درجة المقاطعة المؤقتة، وذلك أمر طبيعي في حال تعصُّب كلِّ منَّا لموقفه، ولكن إذا حصل وانتهى الأمر بالقطيعة، فلا ينبغي أن يصل إلى درجة الهجران الكلي أو الدائم، فذلك ممَّا ينافي إسلام المسلم وإيمان المؤمن. يقول الرسول الكريم (ص): "أَيُّمَا مسلمَينِ تهاجرا فمكثا ثلاثاً لا يصلحان إلاَّ إذا كانا خارجين من الإسلام، ولم يكن بينهما ولاية، فأَيُّهُما سبق إلى كلام أخيه، كان السابق إلى الجنَّة يوم الحساب". وفي قواعد السلوك وآدابه: "لا تنفعل ولا تجادل ولا تضغط ولا تُصعِّد الموقف.. إكسب الجدل بأن تتجنَّب.. إنَّ كلمة (أنتَ مُخطئ) هي أقصر طريق لجلب العداوة.. سلِّم بالخطأ حين تُخطئ.. ولا تنتقِد نقداً عقيماً يكسر القلب ويذلَّ النفس، فذلك أساس الذُّكْد".